مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 2 السنة: 2022
ص: 14 - 31 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أصناف الإشاريات ومقاصدها في (الأدب الكبير) لابن المُقفّع: قراءة تداولية

Deixis Types and Their intentions in Ibn Al-Muqaffa's "Al-Adab Al-Kabeer" -A Pragmatic Reading-

Rima Labadlia / ريمة لعبادلية *

مخبر الدّراسات اللّغوية والأدبية.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)،

University of May 8, 1945 Guelma (Algeria)

labadlia.rima@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2022/02/24	تاريخ القبول: 2022/04/06	تاريخ النشر: 2022/06/02

مُلخّص البحث

تهدف هذه الدّراسة إلى استجلاء العناصر الإشارية في "الأدب الكبير" لابن المقفّع، وتقديم قراءةٍ تداوليةٍ لأصنافها ومقاصدها؛ باعتبارها أُوْلَى درجات البحث التّداولي التّي تُسهم في تشكيل الخطاب وترابطه، حيث حاولنا الإجابة على التّساؤلات: ما مفهوم الإشاريات؟ وماهي أصنافها ومقاصدها التّداولية في "الأدب الكبير" ؟

وقد توصّلنا في هذه الورقة البحثية إلى تحديد الإشاريات وتنوُّعها في سياق الخطاب الأدبي، وكيف وظَّفها صاحب "الأدب الكبير" في توضيح مقاصده وتحقيق التّواصل مع مُتَلَقّيه.

الكلمات المفتاح : إشاريات، مقاصد، تداولية، الأدب الكبير.

Abstract :

This study aims to elucidate deixis in Ibn al-Muqaffa's "Al-Adab Al-Kabir" and to provide a pragmatic reading of its types and intentions as it is considered to be the first degree of pragmatic research that contributes in shaping the discourse and its interrelationship. Hence, we are trying to answer the following questions: What is the concept of Deixis? What are its types and Pragmatic intentions in the "Al-Adab Al-Kabeer"?. In this research paper, we have come to identify deixis and its diversity in the context of literary discourse, and how the author of the "Al-Adab Al-Kabeer " used it to clarify his intentions and achieve communication with the reader .

Keywords: deixis, intentions, pragmatics, Al-Adab Al-Kabeer.

* ريمة لعبادلية: labadlia.rima@univ-guelma.dz

مقدمة:

انطلقت التّداولية بحثًا لسانيًا "يدرس علاقة النّشاط اللّغوي بمستعمليه وطُرُقِ وكيفيّات استخدام العلامات اللغّوية بنجاح، والسّياقات والطّبقات المقامية المختلفة التي يُنْجَزُ ضمنها الخطاب؛ والبحث عن العوامل التّي تجعل من الخطاب رسالةً تواصليةً واضحةً وناجحةً، والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللّغات الطّبيعية"[1]، يتّضح أنَّ التّداولية تتجاوز الدّراسة البنيوية (السّكونية) للّغة إلى دراستها في سياق استعمالها؛ ومراعاةً كلّ ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتَكَلِّمين، وكذلك تُعَرَّفُ بكونها "تخصصٌ لسانيٌ يدرس كيفية استخدام النّاس للأدلة اللّغوية في صُلْبِ أحاديثهم وخطاباتهم كما يُعْنَى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"[2]، أي أنَّها دراسة اللّغة من منظور تداولها بين مستعمليها، فالتّداولية "تتطرَّق إلى دراسة اللّغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معًا"[3].

ترتكز التّداولية على عدَّة مباحث منها: الإشاريات، الحجاج، أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، متضمِّنات القول. وقد اخترنا في هذا المقال بحث الدَّرجة الأولى من درجات التّداولية وهي "الإشاريات" واتخاذها آلية تحليلية نتوسَّل من خلالها اكتشاف ما يتضمَّنه الخطاب الأدبي في "الأدب الكبير" لابن المقَفَّع من أبعاد تبليغية وذلك انطلاقًا من طرح الإشكالية: كيف كان التوَّظيف التَّداولي للعناصر الإشارية بأنواعها في خطاب ابن المقفّع في مُؤَلَّفِهِ؟ ، وما مدى نجاحه في تبليغ مقاصده لمتَلَقِّيه؟.

أولا– مفهوم الإشاريات (Deixis):

1–لغةً:

جاء في معجم "لسان العرب" في مادة (ش، و،ر): " أَشَارَ عليه بأمر كذا أَمَرَهُ به، وأَشَارَ الرّجل يُشِيرُ إِشَارَةً إذا أَوْمَأَ بيديه، ويُقال شَوَرْتُ إليه بيدي ، وأَشَرْتُ إليه، أي لوَّحْتُ إليه وأَلَحْتُ أيضًا، وأَشَارَ يُشِيرُ إذا ما وَجَّهَ الرّأي"[4]

ويُرَادُ بالإشاريات (Deixis)" الإشارة والتحّديد والتّعيين والعرض والتّمثيل والتّأشير. وهو مشتقٌّ من كلمة (ديكتيكوس/deiktikos) اليونانية[5].

وكل التّعريفات اللّغوية للإشاريات تلتقي في مفهوم الإشارة والتّعيين لذاتٍ أو شيءٍ أو زمانٍ أو مكانٍ ...وغيرها، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، قصد التّواصل وتوصيل فكرة مُعَيَّنَةٍ في ذِهْنِ المتَكَلِّم.

2-إصطلاحًا:

يعرِّفها "**جورج يول**" (Gerge Yule) بأنَّها "فعلٌ يَسْتَعْمِلُ فيه مُتَكَلِّمٌ أو كاتِبٌ، صيغًا لغويةً لتمكين مُسْتَمِعٍ أو قارئٍ، تحديد شيء ما"[6]. كما تُعَرَّفُ الإشاريات أنَّها "العبارات التي تسمح للمُتَكَلِّم بالإشارة إلى المخَاطَب أو إلى عِدَّةِ أشياء خاصة من عالم الخطاب، أكان هذا الخطاب حقيقيًا أم خياليًا"[7].

والتَّأشير (deixis) مصطلح تقنيٌ وهو يعني الإشارة من خلال اللُّغة، ويطلق على أية صيغة لغوية تُسْتَعْمَلُ للقيام بهذه الإشارة مصطلح "التّعبير الإشاري" (deictic expression)، وتُسَمَّى أيضًا الإشاريات (indexicals)، وهي أُولَى الصِّيَغ التي ينطق بها الأطفال الصّغار، وتُسْتَعْمَلُ للإشارة إلى الأشخاص من خلال التَّأشير الشّخصي (person deixis) ("أنا"، "أنت")، أو إلى المكان من خلال التَّأشير المكاني (spatial deixis) ("هنا"، "هناك")، أو إلى الزّمان من خلال التّأشير الزّماني(temporel deixis) ("الآن"، "آنذاك"). وتَعْتَمِدُ جميع هذه التّعابير في تفسيرها على مُتَكَلِّمٍ ومُسْتَمِعٍ يتشاركان في السّياق ذاته[8]. بمعنى أنَّ تحديد الإشاريات يكون مَبْنِيًّا على شروط التّخاطب وظروفه، مِنْ معرفة هويّة المتَكَلِّم (مُرْسِلُ الخطاب)، والمخَاطَبِ (مُتَلَقِي الخطاب)، ومكان الخطاب وزمانه.

ومفهوم الإشاريات بصفة عامة "يشمل كلَّ ما يُشِيرُ إلى ذاتٍ أو موقعٍ أو زمنِ إشارةٍ أوليةٍ لا تتعلّق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة؛ فيُمَثِّلُ العنصر الإشاري مَعْلَمًا (Index) لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، وتُمَثِّلُ العناصر الإشارية فيه جملة الذَّوات التّي تُكَوِّنُ العناصر الأساسية الدُّنيا في عالم الخطاب؛ وتَتَّصِلُ هذه الذّوات مباشرةً بالمقام دون تَوَسُّطِ عناصرٍ إحالية أخرى؛ فهي ترتبط بالحقل الإشاري (Deictic Field) ارتباطًا آنيًا محدودًا مباشرًا لا يتجاوز ملابسات التَّلفظ التّي يتقاسمها طرفا التّواصل، وهي في ذلك تُقابِل العناصر الإحالية التّي ترتبط بالسّابق وما يتعلّق به من ملابسات، ويَشْمُلُ العنصر الإشاري:

- لفظًا مفردًا دالًا على حدثٍ أو ذاتٍ أو موقعٍ ما في الزّمان والمكان.
-جزءًا مِنَ الملفوظ أو الملفوظ كاملًا"[9].

ويمكن تحديدها بالقول:إنَّها ألفاظٌ تُشير إلى عناصرٍ خارجيةٍ، تُفَسِّرُ هذه العناصر معنى الألفاظ، تَبَعًا لسياق القول وقَصْدِ المتَكَلِّم وفهم الخطاب؛ لأنَّنا إذا أردنا فهم "هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطعٍ خطابِي، استوجب مِنَّا ذلك- على الأقل- معرفة هوية المتَكَلِّم والمتَلَقِي والإطار الزَّماني والمكاني

للحدث اللّغوي"[10]؛ وهذه العناصر كلها تلتقي في مفهوم التعيين، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه[11].

ثانيا– الإشاريات مبحثا تداوليا:

تعد الإشاريات من مباحث التّداولية؛ وحسب الهولندي "هانسون" (Hansson) –الذّي أَسْهَمَ سنة 1974م في تحديد ثلاث درجات للتّداولية– تُعْتَبَرُ "تداولية الدّرجة الأولى: هي دراسةٌ للرُّموز الإشارية، أَيْ للتّعابير المُبْهَمَة حَتْمًا ضِمْنَ ظروف استعمالها، أيْ سياق تلفُّظها"[12]، وقد كان "بيرس" (Ch.s Peirce) صاحب تعبيري (الإشارة) و(العلامة الإشارية)"[13]

تندرج الإشاريات مبحثًا تداوليًا يتأسّس على علاقة العناصر الإشارية بمرجعياتها اللّغوية والسّياقية، وهذه العناصر لا يمكن كشف معانيها ومقاصدها ضِمْنَ الخطاب إلّا مِنْ خلال تحديد السّياق القَوْلِي لها، ولا يتحدّد دور الإشاريات عند الظّاهر منها بَلْ يتجاوزها إلى أخرى ذات الحضور الأقوى وهي الإشاريات المستقرّة في بنية الخطاب العميقة، باعتبار أنّ " التّلفُّظ يَحْدُثُ عن ذاتٍ بسماتٍ مُعيَّنةٍ وفي مكانٍ وزمانٍ مُعيّنيْن هما مكان التّلفظ ولحظته، إذْ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي (الأنا، الهنا، الآن)؛ وعليه تكون الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتَكَلِّم مع التّفريق الأساس بين التّعبيرات الإشارية القريبة من المتَكَلِّم مقابل التّعبيرات الإشارية البعيدة عنه"[14].

وعلى هذا الأساس فهي تأخذ بعين الاعتبار ملابسات السّياق وظروفه قصد توضيح المعنى وتقريبه؛ وبالتّالي إزالة الغموض وتحقيق الفهم الصّحيح الواضح بعيدًا عن التّعقيد وسوء الفهم، وهنا تتجلى قيمتها الوظيفية كونها "تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللّغات والسّياق الذي تُستخدم فيه"[15].

من أهمّ خصائص الإشاريات أنّها[16]:

– علامات لسانية تخضع للتّواضع والاصطلاح بين المتَخَاطِبين.

– أنّها لا تُؤَدِّي منفردةً وظيفةً دلاليةً في أي موضوع، سواءً كان واقعيًا أم خياليًا، بل تقترن دائما بالموضوع الذّي لها صلة به، والسّياق الذي أُنْتِجَتْ فيه.

– كما أنّها تقوم بدورٍ حيويٍّ في تحقيق فاعلية التّواصل مِنْ حيث كونها مُحِيلَة على موضوعات ذات مرجعية معلومة لأطراف التّواصل[17].

ثالثا– أصناف الإشاريات:

سنحاول تسليط الضّوء على دور الإشاريات التي تدخل في تشكيل بنية الخطاب النّثري الأدبي في"الأدب الكبير" لابن المقفّع؛ وتوضيح مقاصدها وربطها بسياقاتها داخل الخطاب، وهذا بتحديد مختلف أصنافها: شخصية، زمانية، مكانية، خطابية واجتماعية[18].

1- الإشاريات الشّخصية (Personal Deixis) :

أبرز العناصر الإشارية الدّالة على شخص (Person) وأوضحها هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضّمائر الشّخصية الدّالة على المتَكَلِّم وحده مثل (**أنا**) أو المتَكَلِّم ومعه غيره مثل (**نحن**)، والضّمائر الدّالة على المخَاطَبِ مفرداً أو مثنى أو جمعًا، مذكرًا أو مؤنّثًا. وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية؛ لأنَّ مرجعها يَعْتَمِدُ اعتمادًا تامًا على السّياق الذّي تُسْتَعْمَلُ فيه، وليس من شكٍ في أنَّ الضّمير (**أنا**) و(**أنت**) ونحوهما له دلالة في ذاته على المتكلِّم أو المخاطَب،لكنَّ السّياق لازمٌ لمعرفة مَنْ المتكلِّم أو المخَاطَب الذّي يحُيل إليه الضّمير (**أنا**) و(**أنت**)، أمَّا ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حُرًّا أي لا يُعْرَفُ مرجعه من السّياق اللغّوي، فإذا عُرِفَ مرجعه من السّياق اللّغوي خرج من الإشاريات[19]. يَتَّضِحُ أنَّ الإشاريات الشّخصية تَشْمَلُ ضمائر المتَكَلِّم (**أنا، نحن، "تاء**" المتكلم، "**ياء**" المتكلم، "**نا**" المتكلم الجمع) وضمائر المخَاطَبْ (**أنتَ، أنتِ، "تاء**" المخاطب، أنتما، أنتم، أنتن)، حيث أن المتَكَلِّم لا يُصَرِّحُ بلْ يُحيل على معلومٍ من خلال الضّمير، وإلاّ تحَوَلَ الخطاب إلى ألغازٍ ومُعمَّى. وهي في النّهاية علاماتٌ يَتَوَسَّلُ بها المتكلمون لإضفاء بُعْدٍ تداولي على خطابهم[20].

كما يدخل النّداء (Vocative) في الإشارة إلى الشّخص (Person Deixis) وهو ضميمةٌ اسميةٌ تُشير على مُخَاطَبٍ لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، وهي ليست مُدْمَجَةً فيما يليها من كلام؛ بل تنفصل عنه بتنغيم يميزها، وظاهر أنَّ النّداء لا يُفْهَمُ إلَّا إذا اتَّضح المرجع الذي يشير إليه[21].

مِنَ الإشاريات الشَّخصية التي تحضر داخل الخطاب الأدبي في "الأدب الكبير" نَذْكُرُ ضمير المتَكَلِّم الجمع، وأمثلة ذلك في قوله:

- "**إنَّا** وَجَدْنَا النَّاسَ قَبْلَنَا كَانُوا أَعْظَمَ أَجْسَامًا، وَأَوْفَرَ مَعَ أَجْسَامِهِمْ أَحْلَامًا، وَأَشَدَّ قُوَّةً، وَأَحْسَنَ بِقُوَّتِهِمْ لِلْأُمُورِ إِتْقَانًا". (ص67)

- "فَمُنْتَهَى عِلْمِ عَالِمِنَا فِي هَذَا الزّمَانِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِمْ، وَغَايَةُ إِحْسَانِ مُحْسِنِنَا أَنْ يَقْتَدِيَ بِسِيَرِهِمْ". (ص68)

– "وَأَحْسَنُ مَا يُصِيبُ مِنْ الحَدِيثِ مُحَدِّثُنَا أَنْ يَنْظُرَ فِي كُتُبِهِمْ فَيَكُونَ كَأَنَّهُ إِيَّاهُمْ يُحَاوِرُ، وَمِنْهُمْ يَسْتَمِعُ، وَآثَارَهُمْ يَتْبَعُ". (ص68)

جاءت صيغة المتَكَلِّم متمثّلة في الضّمير المتّصل "نا" للمُتَكَلِّم الجمع في الكلمات مثل: "إِنَّا"، "وَجَدْنَا"، "قَبْلَنَا"، "عَالِمِنَا"، "مُحْسِنِنَا"، "مُحَدِّثنا" في مُقدِّمة "الأدب الكبير" وتُشير إلى ابن المقفَّع مع غيره من النَّاس والعلماء في عصره، وتقديره الضّمير المستتر "نحن"، فابن المقفَّع وضع نفسه مُتَكَلِّمًا على لسانِ الجماعةِ من معاصريهِ، مِنَ الأدباءِ والعلماءِ والفقهاءِ، واصفًا لِمُتَلَقِّيهِ ما وَجَدُوا عليه أسلافهم وسابقيهم مِنْ قوَّةِ الأبدانِ وسرعةِ البديهةِ ومكارمِ الأخلاقِ وعُلوِ الآفاقِ، وإلمامهم بصُنوفِ العلمِ والأدبِ أُصولِ وفصولِ الدِّينِ، حتىَّ أنَّهم لم يُبْقُوا لهُ ولغيره ما يُقَالُ إِلَّا اشتقاقَ ما بقيَ مِنْ لطائفِ الأمور وتدقيقها.

ودلالة استعمال الضَّمير المتَّصل للجماعة المتَكَلِّم "نا" في الخطاب تُشير إلى قوةَّ شخصيَّة ابن المقفَّع وشِدَّةِ ثقته واعتداده بنفسه بين أفراد مجتمعه مُتَحَدِّثًا بِاسْمِ الجماعة مُخَاطِبًا المسْتَمِعَ أَوْ القارِئَ لخطابه الأدبي.

كما استعمل كذلك ضمير المتَكَلِّمْ المفرد "أنا" والنِّداء في:

– "فَمِنْ ذَلِكَ بَعْضُ مَا أَنَا كَاتِبٌ فِي كِتَابِي هَذَا مِنْ أَبْوَابِ الأَدَبِ التِّي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ". (ص69)

– "يَا طَالِبَ الأَدَبِ إِنْ كُنْتَ نَوْعَ العِلْمِ تُرِيدُ فَاعْرِفْ الأُصُولَ وَالفُصُولَ". "... "ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تُجَاوِزَ ذَلِكَ إِلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَالعِبَادَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ،...". (ص79)

– وَأَنَا وَاعِظُكَ فِي أَشْيَاءٍ مِنَ الأَخْلَاقِ اللَّطِيفَةِ وَالأُمُورِ الغَامِضَةِ التِّي لَوْ حَنَّكَتْكَ سِنُّ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَعْلَمَهَا... وَلَكِنَّنِي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُقدِّمَ إِلَيْكَ فِيهَا قَوْلًا لِتُرَوِّضَ نَفْسَكَ عَلَى مَحَاسِنِهَا قَبْلَ أَنْ تَجْرِي عَلَى عَادَةِ مَسَاوِئِهَا". (ص81)

– "غَيْرَ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ مَوْطِنًا وَاحِدًا إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ فِيهِ الجَدَّ بِالهَزْلِ أَصَبْتَ الرَّأْيَ...". (ص104)

يُشير ضمير المتَكَلِّم "أنا" في "الأدب الكبير" إلى ابن المقفَّع مُتَحَدِّثًا بنفسه أنَّهُ مُؤَلِّفُ الخطاب الأدبي (أنا كاتبٌ في كتابي هذا) وهو كَتَبَ أبوابه قَصْدَ توجيهه إلى كلِّ مَنْ يحتاجه مِنَ النَّاس الذِّين صنفَّهم في أبواب كتابه (طالب الأدب والعلم، السُّلطان، الوزير، الرّعية، الصّديق...) مُفْتَرِضًا وجود مُتَلَقٍّ أو قارئٍ لأدبه.

كما أن استعمال "**يا**" صيغة النِّداء في (يا طالب الأدب) فيه إشارة وتحديدٌ لمخاطَبه وحرصه على لفت انتباهه لمَا سيقول في خطابه، واعتماده الضّمير "**أنا**" في (أنا واعظك) إضافة إلى استعمال الضّمائر المتّصلة "**ياء**" المتكلم نحو (كتابي، لكنَّني، إنَّني...)، و"**تاء**" المتكلم نحو (أحببتُ، علمتُ...) إشارةٌ من المتَكَلِّم لأهمية خطابه وقناعته بإفادة مُتَلَقِيه.

لكنّ الملاحظ هو قلّة ضمائر المتكلِّم المنفصل "**أنا**" و"**نحن**" وهذا إنَّمَا يدل على نوعٍ مِنَ التّواضع والبعُد عنْ تعظيم الذّات في سياق مُخاطبة المتَلَقِي وتنويره.

واستعمل ضمير المخَاطَب "**أنت**" و" **كاف** المخَاطَب" وضمير الغائب في مخاطبة عدّة أصناف وطبقات من النّاس؛ ومثاله في قوله:

– "أُرْفُقْ بِنُظَرَائِكَ مِنْ وُزَرَاءِ السُّلْطَانِ وَأَخِلَّائِهِ وَدُخَلَائِهِ... فَإِنَّمَا **أَنْتَ** فِي ذَلِكَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ فَضْلٌ عَلَى مَا عِنْدَ غَيْرِكَ فَسَوْفَ يَبْدُو ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيُلْتَمِسُ مِنْكَ، وَ**أَنْتَ** مُجْمِلٌ. وَإِمَّا أَلاَّ يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، فَمَا **أَنْتَ** مُصِيبٌ مِنْ حَاجَتِكَ عِنْدَ وُزَرَاءِ السُّلْطَانِ بِمُقَارَبَتِكَ إِيَّاهُمْ وَمُلَايَنَتِكَ، وَمَا **أَنْتَ** وَاجِدٌ فِي مُوَافَقَتِكَ إِيَّاهُمْ وَلِينِكَ لَهُمْ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ إِيَّاكَ وَلِينِهِمْ لَكَ أَفْضَلُ مِمَّا **أَنْتَ** مُدْرِكٌ بِالمُنَافَسَةِ وَالمُنَافَرَةِ لَهُمْ" (ص94، 95)

فِي هذا الخطاب الموَجَّهِ إلى وزير السُّلطانِ يُشير إليه بالضَّمير المسْتَتِر تقديره "**أنت**" في أولِّه (أرفق بنظرائك) ثم ضمير المخَاطَب المفرد المنفصل "**أنت**" في (أَنْتَ مُجْمِلٌ)، (أَنْتَ مُصِيبٌ)، (أَنْتَ وَاجِدٌ)، (أَنْتَ مُدْرِكٌ)كما استعمل كاف المخَاطَب(نُظَرَائِكَ، غَيْرِكَ، حَاجَتِكَ، مُقَارَبَتِكَ، عِنْدَكَ، غَيْرِكَ، إِيَّاكَ، لَكَ..) ، وفيه وَعْظٌ وَنُصْحٌ لكُلِّ مَنْ كان يعمل وزيرًا، وضمير الجمع الغائب (**هم**) يُشير إلى نُظراء الوزير، حيث جاء الخطاب مُوَجَّهًا بشكلٍ صريحٍ دون تلميحٍ وهذا إنَّما يُشير ويدل على جرأةٍ كبيرةٍ وصراحةٍ عاليَّةٍ لدى ابن المقفَّع في القول والنُّصح دون الشُّعور بالخوف أو الهيبة مِنْ مُتَلَقِّيهِ أيًّا كان منصبه ولكن بكلِّ تقدير له وبلا تكبرٍ ولا استعلاءٍ عليه. واستعمال صيغة المخاطب "**أنت**" يوضِّح شيئًا حول رأي المتَكَلِّم عن علاقته بالمخَاطَبِ، أَنَّ المتَكَلِّمَ يَفْتَرِضُ نفسهُ الأكبرَ سِنًّا والأفضلَ درجةً والأكثرَ خبرةً في هذا السِّياق من مُخاطَبه أو مُتلقِّيه[22].

إنَّ توظيف الاشاريات الشّخصية كان له دورٌ تداوليٌ فعَّالٌ في التَّأثير على الشّخصيات المقصودة في الخطاب، كما يُشير إلى أنَّ المتكلِّم ابن المقفعَّ يملك روح المعَلِّمِ الحريصِ على تَقَرُّبِهِ مِنْ مُتلقّيه مُتَعَلِّمًا أو مُسْتَمِعًا وتحقيقُ عملية التَّواصل وإفادته على اعتبار وجود طرفين في العملية التّخاطبية.

2- الإشاريات الزّمانية (Tomporal Deixis):

الإشاريات الزّمانية كلماتٌ تدلُّ على زمانٍ يحدّده السّياق بالقياس إلى زمان التّكلم، مثل: (**بعد قليل، الآن، غدا، صباح، مساء...**) فزمان التّكلم هو مركز الإشارة الزّمانية (Deictic Centre) في الكلام، فإذا لم يُعْرَفْ زمان التّكلّم أو مركز الإشارة الزّمانية اِلْتَبَسَ الأمر على السّامع أو القارئ، فالإشاريات الزمّانية هي دلالةٌ زمنيةٌ لا تُحَدَّدُ بزمن الفعل أو الظّرف في حدِّ ذاته؛ وإنّما بزمن التّلفظ بالخطاب[23].

إنّ قولك مثلا (**بعد أسبوع**) يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة، وكذلك إذا قلت (**نلتقي السّاعة العاشرة**) فزمان التّكلم وسياقه هما اللّذان يحدّدان المقصود ب"**السّاعة العاشرة**" صباحا أو مساء من هذا اليوم أو من يوم يليه، وزمن الفعل "**نلتقي**" ينفي أنْ يكون اللّقاء قد حدث فعلاً بلْ يَصْرِفُ زمن اللّقاء إلى زمن لم يَمْضِ بعد. والكلمات مثل: (**أمس، وغدًا، والآن، والأسبوع الماضي، ويوم الجمعة، والسّنة المقبلة، ومنذ شهر**...إلخ)؛ فهي كلُّها لا يتّضح معناها إلّا بالإشارة إلى زمان بعينه بالقياس إلى زمان التكّلم أو مركز الإشارة الزّمانية[24]. فلفظ "**أمس**" له دلالة على اليوم الذّي يسبق يوم إنتاج الملفوظ، ولفظ "**غدًا**" تدلُّ على اليوم الذي يلي زمن الحديث أو الخطاب[25].

وقد يتّسعُ مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزّمان فيتجاوز الزّمان المحَدَّدَ له عُرْفًا إلى زمانٍ أوسعَ فكلمة "**اليوم**" في قولنا مثلا (**بناتُ اليوم**) تشمل العصر الذّي نعيش فيه، ولا يتحدّد بيوم مدّته أربع وعشرون ساعة، وكل ذلك مُوَكَّلٌ إلى السّياق الذّي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزّمان[26].

من هذا المنظور يتّضح أنَّ الزّمن بقدر ما يُمثِّلُ عنصراً ملازمًا لكلّ لغةٍ وحدثٍ لغويٍ بقدر ما تتّصل دلالته بالخطاب والاستعمال[27].

استعمل ابن المقفع في "الأدب الكبير" صيغًا متنوعةً من الإشاريات الزّمانية توزّعت بين الدّالة على القبلية والبعدية والزّمان القريب والبعيد نحو:

- "وَجَدْنَا النَّاسَ **قَبْلَنَا**" (ص67)

يشير ابن المقفّع بـ "**قبل**" في هذا السّياق إلى الزّمن قبله أي زمنِ مَنْ سَبَقَهُ من النَّاس.

- "إِنِ اسْتَطَعْتُ أَنْ تَجْعَلَ صُحْبَتَكَ لِمَنْ عَرَفَكَ بِصَالِحِ مُرُوءَتِكَ وَصِحَّةِ دِينِكَ وَسَلَامَةِ أُمُورِكَ **قَبْلَ** ولايتك فافعل" (ص85)

- "فإِنَّ الوَالِي لَا عِلْمَ لَهُ بِالنَّاسِ إِلَّا مَا قَدْ عَلِمَ **قَبْلَ** وِلَايَتِهِ" (ص85)

أَمَّا هنا فـ "**قبل**" تُفيد القبلية وتُشير إلى حَثِّ الوالي على مصاحبة مَنْ له عهدٌ بهم ويعرفهم أَشَدَّ المعرفة قبل زمن تكليفه بالولاية فهذا له أفضل. كما وردت "**بعد**" في:

- "إِنَّمَا تَكُونُ الدَّعَةُ **بَعْدَ** الفَرَاغِ" (ص72)
- "...إِنَّ العَطِيَّةَ **بَعْدَ** المَنْعِ أَجْمَلُ مِنَ المَنْعِ **بَعْدَ** الإِعْطَاءِ. وَإِنَّ الإِقْدَامَ عَلَى العَمَلِ **بَعْدَ** التَّأَنِي فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الإِمْسَاكِ عَنْهُ **بَعْدَ** الإِقْدَامِ عَلَيْهِ" (ص83)

يفيد استعمال الإشارية "**بعد**" في السّياقات السّابقة في الدّلالة على البَعْدِيَّة ويشير إلى ترتيب الزّمن في تفضيل وتقديم أحد الوضعين أو العملين على الآخر.

- "وَأَنَّ **لَيْلَكَ** وَ**نَهَارَكَ** لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَاجَاتكَ، وَإِنَ دَأَبْتَ فِيهِمَا..." (ص76)
- "... وَمَا شُغْلُكَ مِنْ **لَيْلِكَ** وَ**نَهَارِكَ** فِي غَيْرِ الحَاجَةِ أَزْرَى بِكَ عِنْدَ الحَاجَةِ مِنْكَ إِلَيْهِ" (ص76)
- "... حَتَّى أَشْرَكُونَا مَعَهُمْ فِي مَا أَدْرَكُوا مِنْ عِلْمِ **الأُولَى** وَ**الآخِرَةِ**" (ص67)
- "... فَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْ عَمَلَهُمْ بِحَقِّهِ، يُحَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ **الدُّنْيَا** وَ**الآخِرَةِ**، وَمَنْ لَا يَأْخُذُ بِحَقِّهِ يَحْتَمِلُ الفَضِيحَةَ فِي **الدُّنْيَا** وَالوِزْرَ فِي **الآخِرَةِ**" (ص100)
- "... إِلَّا عَمَّنْ رَضُوا عَنْهُ وَأَغْنَى عَنْهُمْ فِي **يَوْمِهِمْ** وَ**سَاعَتِهِمْ**" (ص88)
- "مِنَ العَجَبِ أَنْ يُبْتَلَى الرَّجُلُ بِالسُّلْطَانِ فَيُرِيدُ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ **سَاعَاتِ** نَصَبِهِ وَعَمَلِهِ فَيَزِيدَهَا فِي **سَاعَاتِ** دَعَتِهِ وَفَرَاغِهِ ..." (ص72)

في هذه الأمثلة السّابقة استعمل كلماتٍ متضادّةٍ وأخرى متقابلة نحو: ليلك#نهارك، الأولى#الآخرة، الدّنيا#الآخرة، يومهم#ساعتهم، ساعات نصبه وعمله#ساعات دعته وفراغه، وهذه العناصر الإشارية الزّمنية للزّمن الكوني لا يمكن فَهْمُ معناها إلَّا في سيّاق الخطاب الذّي وردت فيه مثال: ليل#نهار في سياقها تُشير إلى أنَّ كل زمنٍ منها وُجِدَ لعملٍ معينٍ ولا يستحب للإنسان أنْ يخالف الطّبيعة التّي خلقه الله عليها لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا(10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(11)﴾ [سورة النَّبأ] [28]

كما وظَّف ابن المقفَّع إشارياتٍ أخرى للزّمن الكونى بصفة عامة:

- "**الأَجَل**" (ص67)، "**هَذَا الزَّمَان**" (ص68)، "**سَاعَة**"، "**دَهْر**" (ص76)، "**زَوَالًا**، **سرعة الزَّوال**" (ص128)، "**وَقْتًا**" (ص122)، "**وَضَحُ الصُبْحِ**"(ص135)

وتوظيف هذه العناصر الزّمنية تداوليًّا يعمل على تحقيق فَهْمِ المتَلَقِّي وإدراكه المعاني داخل سياق الخطاب في "الأدب الكبير".

إنَّ تنوع الإشاريات الزّمنية المستعمَلَة عند ابن المقفّع مُرتبطٌ بسياق حديثه وفَهْمُهَا مُرتبط بمعرفة مرجعها، وقد ساهم في إدماج المخَاطَبِ مع خطاب المتَكَلِّم في إطار عملية التّواصل الخطابية وتحديد أبعادها الزّمنية بين الماضي والحاضر والمستقبل.

3- الإشاريات المكانية (Spatial Deixis) :

هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتَكَلِّم وقت التّكلم، أو على مكانٍ آخر معروف للمُخَاطَبِ أو السَّامِع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تُشير إليه قُرْبًا أو بُعْدًا أو وِجْهَةً. ولا يمكن للمُتكلّمِين باللّغة أنْ يستعملوا أو يفسروا كلماتٍ مثل: (**هذا وذاك، وهنا وهناك**) ونحوها إلاّ إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السّياق المادي المباشر(Immediate Fhysical Contexte) الذي قيلت فيه، مثل هذه التّعبيرات أمثلةٌ واضحة على أنَّ أجزاءً من اللّغة لا يمكن أنْ تُفهم في إطار المعنى الذّي يقصده المتَكَلِّم (Speaker Intended meaning). فإذا قال شخص (**أُحِبُّ أَنْ أَعْمَلَ هُنَا**) فهل هو يعني: في هذا المكتب أو في هذه المؤسّسة أو في هذا المبنى، أو في هذا الجزء من المدينة أو في هذه الدّولة أو في غير هذه جميعًا، فكلمة "**هُنَا**" تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذّي يقصد المتكلّم الإشارة إليه[29].

وقد يكون الأساس التّداولي الحقيقي للتّأثير المكاني تباعدًا نفسيًا (Distance Psychological) يميل المتكلّم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديًا على أنّها بعيدةٌ نفسيًا (مثلا: **ذلك الرّجل هناك**)، مع ذلك قد يرغب المتكلّم في جعل شيءٍ قريبٍ ماديًا (مثلا: **عِطْرٌ استنشقته**) بعيدًا نفسيًا بقوله: (**لا أحبُّ ذلك العِطْر**)، فإنَّ كلمة مثل: "**ذلك**" لا تملك معنى دلاليًا ثابتًا ولكنّها تُشَبَّعُ بمعنى ما في سياق المتكلّم[30].

أكثر الإشاريات المكانية وضوحًا هي كلمات الإشارة نحو: (**هذا وذاك**) للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلّم، وكذلك (**هنا وهناك**) وهُمَا من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريبٍ أو بعيدٍ من المتكلّم، وسائر ظروف المكان مثل: (**فوق، تحت ، أمام، خلف**...إلخ) كُلُّهَا عناصر يُشار بها إلى مكان لا يَتَحَدَّدُ إلّا بمعرفة موقع المتكلّم واتّجاهه. وفلاسفة اللّغة يميلون إلى تمييز

كلمات الإشارة إلى المكان عن ظروف المكان، واعتبارها نوعين من أنواع الإشارة، أمّا اللّغويون فيميلون إلى دمجهما معًا وجعلهما صِنْفًا واحدًا يُشار به إلى المكان[31].

من خلال البحث في خطاب "الأدب الكبير" نجد أنَّ ابن المقفَّع وَظَّفَ مجموعةً من الإشاريات المكانية أغلبها كان لِتَعْيِينِ الوجهة أو الوضع، وهذا في مثل:

– "فالكَارِهُ عَامِلٌ في سُخْرَةٍ: إمَّا لِلْمُلُوكِ إنْ كَانُوا هُمْ مَنْ سَلَّطُوهُ، وإمَّا لله تعَالَى، إنْ كَانَ لَيْسَ **فَوْقَهُ** غَيْرُهُ" (ص73)

– "السُّوقَةُ التي إنَّمَا تَحْسُدُ مَنْ **فَوْقَهَا**، وَكُلٌّ لَهُ أَعْذَارٌ" (ص82)

– "لَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْضَبَ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ **وَرَاءِ** حَاجَتِهِ" (ص79)

– "فَإِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ صَاحِبُكَ بِرَأْيٍ، ثُمَّ لَمْ تَجِدْ عَاقِبَتَهُ عَلَى مَا كُنْتَ تَأْمَلُ فَلَا تَجْعَلْ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَنْبًا، وَلَا تُلْزِمْهُ لَوْمًا وَعَذْلًا بِأَنْ تَقُولَ: أَنْتَ فَعَلْتَ **هَذَا** بِي ... لاَ أُطِيعُكَ فِي شَيْءٍ **بَعْدَهَا**، فَإِنَّ **هَذَا** كُلُّهُ ضَجَرٌ وَلَؤْمٌ وَخِفَّةٌ"، "...وَلَا تَلُمْهُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ قَدْ اسْتَبَانَ فِي تَرْكِهِ ضَرَرٌ بِأَنْ تَقُولَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ افْعَلْ **هَذَا**، فَإِنَّ **هَذَا** مُجَانِبٌ لِأَدَبِ الحُكَمَاءِ" (ص133)

– "وَإِيَّاكَ إِذَا كُنْتَ وَالِيًا؛ أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ المِدْحِ وَالتَّزْكِيَةِ وَأَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ **ذَلِكَ** مِنْكَ" (ص73)

– "... وَكُنْ فِي مُدَارَاتِهِ وَالرِّفْقِ بِهِ كَالمُؤْتَنِفِ مَا **قَبْلَهُ**، وَلَا تُقَدِّرِ الأَمْرَ **بَيْنَكَ** وَ**بَيْنَهُ** عَلَى مَا كُنْتَ تَعْرِفُ مِنْ أَخْلَاقِهِ.." (ص84)

– "...فَإِنَّ رَفْعَ النَّاسِ إِيَّاكَ **فَوْقَ** المَنْزِلَةِ التِّي تَحُطُّ إِلَيْهَا نَفْسَكَ..." (ص122)

أَوْضحُ الإشاريات المكانية هي ظروف المكان وقد استعملها المؤَلِّفُ كثيرا نحو: "قبل، وراء، فوق، بعد، بين، "وأسماء الإشارة للقُرب والبُعد: "هذا، ذلك" وهي تُشير في مواضع إلى البُعد المادي وفي مواضع أخرى إلى البُعد المعنوي. كما اعتمد استعمال عناصر إشارية مكانية دالَّة في الأمثلة:

– "... فَإِنَّ لِلَّطِيفِ **مَوْضِعًا** يَنْتَفِعُ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ **مَوْضِعًا** لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ" (ص81)

– "وَلَا يَقَعَنَّ فِي نَفْسِكَ **مَوْقِعَ** مَا يَكْتَرِثُكَ" (ص90)

– "جَانِبِ المِسْخُوطَ عَلَيْهِ... عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ وَإِيَّاهُ **مَجْلِسٌ** وَلَا **مَنْزِلٌ**..." (ص91)

– "... لِأَنَّ مِنْ حَاسِدِيهِ (وزير السلطان) أَحِبَّاءُ السُّلْطَانِ وَأَقَارِبُهُ الذِّينَ يُشَارِكُونَهُ فِي **المَدَاخِلِ** وَ**المَنَازِلِ**.. وَهُمْ حُضَّارُهُ لَيْسُوا كَعَدُوِّ السُّلْطَانِ النَّائِي عَنْهُ.." (ص89)

– "...فَإِنَّ رَفْعَ النَّاسِ إِيَّاكَ **فَوْقَ المَنْزِلَةِ**...وَتَقْرِيبِهِمْ إِيَّاكَ إِلَى **المَجْلِسِ** ..." (122)

كما استعمل عناصر إشارية مكانية مثل: "موضع، موقع، مجلس، منزل، منزلة، منازل، مداخل، " وهذه الكلمات التي تنتمي إلى حقلٍ دلاليٍ واحدٍ تُشير إلى رُتَبِ النّاس وأماكن تواجدهم حسب طبقاتهم ونفوذهم ولا يمكن فهم معانيها إلَّا في السّياق الذّي وردت فيه داخل الخطاب.

ووظّف أيضًا أسماء أخرى تُشير إلى أماكن انتماء النّاس مثل في قوله:

– "اِعْرِفِ الفَضْلَ فِي أَهْلِ الدِّينِ فِي كُلِّ **كُورَةٍ** وَ**قَرْيَةٍ** وَ**قَبِيلَةٍ**" (ص74)

– "لَا يَعْرِفَنَّكَ الوُلَّاةُ بِالهَوَى فِي **بَلَدٍ** مِنَ **البُلْدَانِ** وَلَا **قَبِيلَةٍ** مِنَ **القَبَائِلِ**" (ص86)

– "... يَكَادُ يَكُونُ لِكُلِّ رَجُلٍ غَالِبَةُ حَدِيثٍ لَا يَزَالُ يُحَدِّثُ بِهِ: إِمَّا عَنْ **بَلَدٍ** مِنَ **البُلْدَانِ**... فَاجْتَنِبْ ذَلِكَ فِي كُلِّ **مَوْطِنٍ**.." (ص97)

– "...فَيَكْسُدَ بِذَلِكَ الفُجُورُ وَالدَّنَاءَةُ فِي **آفَاقِ الأَرْضِ**" (ص83)

فالعناصر الإشارية المكانية: "كورة (قرية صغيرة في اليمن)، قرية، قبيلة، بلد، بلدان، قبيلة، قبائل، موطن، " فكلّها مواضع تشير إلى البيئة أو الأماكن التّي يعيش فيها النّاس في شكل مجتمعات مُنظَّمَةٍ تَحْكُمُهَا سُلْطَةٌ وقوانين محدَّدَة ومحفوظةٌ، وأيضًا استعمل "**آفاق الأرض**" للإشارة إلى جميع أماكن المعمورة، وقد أثار ابن المقفَّع قضيّة الحياة الإنسانية حيث أنَّه أينما يتواجد الإنسان الذي هو إجتماعي بطبعه فحياته لا تكون مستقرة إلَّا في ظِلِّ نظامٍ عادلٍ وقويٍّ يَحْكُمُهُ ويُوَجِّهُهُ.

كان استعمال الإشاريات المكانية في خطاب "الأدب الكبير" مُمَيَّزًا لمِاَ حملته من دلالات وضَّحت معانيه في السّياق بالإشارة إلى الأماكن وتحديدها إمَّا بالجهة أو بالوصف أو بالتّسمية لإفادة المتَلَقِّي.

4– الإشاريات الخطابية (Discourse Deixis) :

هي عناصر إشارية تُحيل على عناصرٍ لغويةٍ مذكورةٍ في الخطاب قَبْلًا أو بَعْدًا[32]. وقد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق (anaphora) أو لاحق (cataphora)، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات. ولكنْ منهم مَنْ ميَّز بين النّوعين فرأى أنّ الإحالة يتّحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يُحيل إليه مثل: (**زيدٌ كريمٌ وهو ابن كِرَامٍ**)، أيضًا: فالمرجع الذّي يعود إليه (**زيدٌ**) و(**هو**) واحدٌ، أمّا إشاريات الخطاب فهي لا تُحيل إلى ذاتِ المرجع، بلْ تَخْلُقُ المرجع فإذا كُنت تَرْوِي قِصَّةً

ثُمَّ ذَكَّرْتُكَ بقصّة أُخرى فقد تُشير إليها ثُمَّ تتوقّف قائلًا: (**لَكِنْ تلك قصّة أخرى**)، فالإشارة هنا مرجع جديد.

على أنَّ هذا التّمييز بين إشاريات النّص والإحالة إلى عنصر فيه ليس حاسمًا، ذلك بأنَّ الإحالة قي قصاراها ضربٌ مِنْ إشاريات النَّص، أو هي أساسٌ فيها.

قد يبدو طبيعيًا أنَّ تُسْتَعَارَ إشاريات الزّمان وإشاريات المكان لتُستخدَم إشاريات للخطاب فكما يُقال: (**الأسبوع الماضي**) يمكن أنْ يُقال: (**الفصل الماضي من الكتاب**، أو **الرّأي السّابق**)، وقد يُقال: (**هذا النّص**) للإشارة إلى نصٍّ قريبٍ، أو (**تلك القصّة**) إشارة إلى قصّة يعد بها القول.

لكن هناك إشاريات للخطاب تُعَدُّ من خواص الخطاب وتتمثّل في العبارات التّي تُذْكَرُ في النّص مشيرةً إلى موقفٍ خاصٍّ بالمتَكَلِّم فقد يَتَحَيَّرُ في ترجيح رأيٍ على رأيٍ أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمرٍ فيقول: "**ومَهْمَا يكُنْ مِنْ أمرٍ**"، وقد يحتاج أنْ يستدرك على كلامٍ سابقٍ أو يُضْرِبَ عنه فيستخدم "**لكنْ**" أو "**بلْ**"، وقد يظهر له أنْ يُضيف إلى ما قال شيئًا آخر فيقول "**فضلًا عن ذلك**" وقد يَعْمِدُ إلى تضعيف رأيٍ فيذكره بصيغة التَّعريض "**قِيلَ**" وقد يريد أنْ يُرَتِّبَ أمرًا على آخر فيقول "**مِنْ ثمَّ**..." إلخ، وهذه كلها إشاريات خطابيةٌ خالصةٌ لا تزال في حاجة إلى دراسة تجلو جوانبها واستخداماتها إشاريات للخطاب[33].

تَضَمَّنَ الخطاب الأدبي لابن المقفَّع جملةً من الإشاريات الخطابية ساهم في انسجامه وترابطه وتنوُّعه نحو:

– "إنْ كُنْتَ نَوْعَ العِلْمِ تُرِيدُ فَاعْرِفْ الأُصُولَ وَالفُصُولَ ... وَإِنْ أَصَابَ الفَصْلَ بَعْدَ إِحْرَازِ الأَصْلِ **فَهُوَ أَفْضَلُ. وَأَصْلُ الأَمْرِ** فِي الدِّينِ أَنْ تَعْتَقِدَ الإِيمَانَ عَلَى الصَّوَابِ... **ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ** عَلَى تَجَاوُزِ ذَلِكَ إِلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَالعِبَادَةِ **فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ**" (ص69)

–"**وَأَصْلُ الأَمْرِ** فِي صَلَاحِ الجَسَدِ أَلَّا تَحْمِلَ عَلَيْهِ ... **ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ** عَلَى أَنْ تَعْلَمَ جَمِيعَ مَضَارِّهِ ... **فَهُوَ أَفْضَلُ**" (ص70)

– "...**بَلْ** إِنِ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تُعَرِّفَ صَاحِبَكَ أَنَّكَ تَنْحَلُهُ صَوَابَ رَأْيِكَ، **فَضْلًا عَنْ أَنْ** تَدَّعِي صَوَابَهُ، وَتَسْنِدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَتُزَيِّنَهُ بِهِ فَافْعَلْ" (ص92)

– " **وَاعْلَمْ أَنَّ** هَذِهِ الأُمُورَ لَا تُدْرَكُ وَلَا تُمْلَكُ إِلَّا بِرَحْبِ الذِّرْعِ عِنْدَمَا **قِيلَ مَا لَمْ يُقَلْ**، وَقِلَّةُ الإِعْظَامِ لِمَا ظَهَرَ مِنْ المُرُوءَةِ وَمَا لَمْ يَظْهَر" (ص93،94)

– " لَيْسَ الصَّبْرُ المَمْدُوحُ بِأَنْ يَكُونَ جِلْدُ الرَّجُلِ وَقَّاحًا عَلَى الضَّرْبِ... **وَلَكِنَّ** الصَّبْرَ المَمْدُوحَ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ غَلُوبٌ، وَلِلْأُمُورِ مُحْتَمِلًا" (ص115)

تضمّن نصُّ الخطاب عدَّة إشاريات خطابية ساهمت في انسجامه وترابطه وتنوّع عباراته حيث استعمل ابن المقفّع كثيرًا من عبارة "**اِعْلَمْ أنَّ**" وفيها إشارة إلى لفت انتباه المخَاطَبِ أو المتَلَقِّي بأهميّة المقال، كما استعمل "**وَأَصْلُ الأَمْرِ**" فيه إشارةٌ إلى ترتيب الفائدة مِنْ معرفة بدايتها والأصل فيها ثمّ تفسيرها وتفصيل جوانبها، ثم يُضيف عبارة "**ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ**" يجعل المتَلَقِّي يَشْعُرُ بأنَّ المتَكَلِّمَ يَسَاعِفُهُ بالنُّصح والتَّوجيه على قَدْرِ استطاعته. ويشجعه بعد ذلك بقوله" **فَهُوَ أَفْضَلُ**"، "**فهو أفضل وأجمل**"، "**فهو أفضل وأكمل**".

وقد استدرك ابن المقفّع في خطابه عديد المرّات باستعمال "**بلْ**"، و"**لكنْ**" إشارةً إلى رأي آخر، أو إضافة رأي بالإشارة الخطابية "**فَضْلًا عَنْ أَنَّ**"، أو بالتَّعريض في القول باستعمال الإشارة "**قِيلَ**".

أفادت إشاريات الخطاب في غنى خطاب المتَكَلِّمِ ابن المقفَّع وتنوُّعه والإشارة إلى رأيه في مناقشة أفكاره مع مُخَاطَبِهِ المفْتَرَض.

5– الإشاريات الاجتماعية (Social Deixis) :

هي ألفاظ وتراكيب تُشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلِّمين والمتخاطِبين من حيث هي علاقة رسميّة (Formal) أو علاقة أُلْفَة ومَوَدَّة Intimacy).

و يدخل في العلاقة الرسميّة صيغ التّبجيل (Honorifics) في مخاطبة مَنْ هُمْ أكبر سِنًا ومقاماً مِنَ المتُكلِّم، كاستخدام (Vous)في الفرنسية للمفرد المخاطب تبجيلًا له، أو مراعاةً للمسافة الاجتماعية بينهما، أو حِفْظًا للحوار في إطارٍ رسميٍّ، وكذلك الحال في استخدام(**Sie**) في الألمانية و(**أنتم**) في اللّغة العربية للمفرد المخاطَب و(**نحن**) للمفرد المعظِّم لنفسه. وهي تشمل أيضاً الألقاب؛ مثل: فخامة الرّئيس، الإمام الأكبر، جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشّيخ، كما تشمل أيضا: السّيد، السّيدة، الآنسة، ويدخل فيها أيضا: حضرتك، وسيادتك، وسعادتك، وجنابك، وقد يقتصر استعمال بعضها على الرّجال مثل: معالي الباشا، وقد يقتصر بعضها على النّساء مثل: الهانم، وفي الإنجليزية لا يجوز أن تُشير إلى سيّدةٍ أكبر منك سِنًا أو مقاماً في حضورها بقولك (She) [34]، أمَّا الاستعمال غير الرّسمي فهو مُنْفَكٌ مِنْ هذه القيود جميعاً، وينعكس هذا في استعمال بعض الضّمائر للدّلالة على المفرد المخاطَب مثل: (Tu) في

الفرنسية و(Du) في الألمانية، وفي النّداء بالاسم المجرّد، أو اسم التّدليل أو نحو ذلك، فضلًا عن التّحيات التي تتدرج من الرّسمية إلى الحميمية مثل: (صباح الخير، صباح الفل، صباح العسل...إلخ.

وربّما وجدنا ظلالا للاشاريات الاجتماعية في دلالة استخدام بعض الألفاظ على طبقة اجتماعية بعينها مثل استخدام (BookinGlass) الذّي يُعَدُّ في بريطانيا إشارة إلى الطّبقة الاجتماعية العُليا في مقابل(Mirror) ، ومثلها (Lady)و(Woman) ومن ذلك في اللّغة العربية استعمال (**حامل**) و(**حبلى**)، وأيضا (**دورة مياه**) و(**حمام**)، ومنها استخدام (**عقيلته**) و(**قرينته**) و(**حرمه**) و(**زوجته**) و(**امرأته**).

الظّاهر أنّ الإشاريات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين التّداولية وعلم اللّغة الاجتماعي[35].

من خلال خطاب ابن المقفّع في "الأدب الكبير" نجد أنّ العناصر الإشارية الاجتماعية تنوّعت على حسب الأصناف والرُّتب الاجتماعية في ذلك الزّمن نحو:

- " فكَانَ **صَاحِبُ الدِّينِ** مِنْهُمْ أَبْلَغُ فِي أَمْرِ الدِّين ... وَكَانَ **صَاحِبُ الدُّنْيَا** عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ البَلَاغَةِ والفَضْلِ" (ص67)
- "فإِنَّ أَعْظَمَ **النَّاسِ** فِي الدُّنْيَا خَطَرًا، أَحْوَجُهُمْ إِلَى التَّقْدِيرِ، وَ**المُلُوكُ** أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْ **السُّوقَةِ**" (ص71)
- "إِيَّاكَ إِنْ كُنْتَ **وَالِيًا** أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ المِدْحِ وَالتَّزْكِيَةِ" (ص83)
- "إِذَا أُبْتُلِيتَ بِ**السُّلْطَانِ** فَتَعَوَذْ بِ**العُلَمَاءِ**" (ص83)
- "اِعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ **النَّاسِ عَدُوًّا جَاهِدًا حَاضِرًا جَرِيئًا وَاشِيًا وَزِيرُ المَلِكِ ذُو المَكَانَةِ** عِنْدَهُ لِأَنَّهُ مَنْفُوسٌ عَلَيْهِ مَكَانُهُ بِمَا يُنْفَسُ عَلَى **صَاحِبِ السُّلْطَانِ**" (ص89)

الملاحظ من خلال ما ورد من إشاريات اجتماعية في نصِّ الخطاب أنّ ابن المقفّع استعمل ما هو مُتداوَلٌ في زمنه مِنْ أوصافٍ وألقابٍ اجتماعيةٍ، والظّاهر أنّه استعملها بلفظها الرّسمي، دون صيغ التّبجيل والرّفعة فلم يرد في خطابه مثل : **حضرة** العالم الجليل أو **حضرة** السّلطان أو **جناب** الوالي أو **معالي** الوزير أو **سموُّ** الملك ، فأشار إلى العلماء والفقهاء في مرة بـ "**صاحب الدّين**" وأشار إلى والوجهاء والحكّام بـ "**صاحب الدّنيا**" ، كما أشار للعامّة بلفظ "**أكثر النّاس**"، "**العامّة**"، "**السُّوقة**".

أمّا الحكّام فاستعمل للإشارة إليهم بما كان مشهورًا مِنْ أسمائهم في زمانه مثل: "**السّلطان**"، "**الملك**"، "**الملوك**"، "**الوالي**"، "**الولاة**"، "**وزير الملك**"، "**صاحب السلطان**". وهذه الإشاريات

الاجتماعية أفادت تداوليًا في تكوين خطابٍ بعيدٍ عن الذَّاتية والمجاملة والمبالغة في تبجيل المخَاطَبِ ذو المكانة بلْ اكتفى بوصف رتبته المتَعَارَفِ عليها في المجتمع "**العالم**"، "**الملك**"، "**السّلطان**"، "**الوالي**"، "**الوزير**".

وهذا يشير إلى موضوعية وجدَّية ابن المقفّع في تواصله مع مُخَاطَبِيه سواءٌ مِنَ العامّة أو ذوي السّلطة. وكذلك يحتسب عليه نوعًا من الجرأة في توجيه الحديث.

خاتمة:

من خلال هذه القراءة التداولية في "الأدب الكبير" لابن المقفّع نخلص إلى:

– أنّ توظيف التّحليل التّداولي من جانب الإشاريات التّداولية بمختلف أصنافها أسهم في كشف الكثير من دلالات الاستعمال التّي تخيّرها المؤَلِّفُ في سياق خطابه،

– استعمال أصناف الإشاريات في خطاب "الأدب الكبير" كان لها دورٌ مهمٌ في تشكيل بنيته وتنسيقه بغرض توجيهه للمُتلَقِي مِنْ مختلف الفئات والطّبقات العلمية والاجتماعية،

– حيث عمد "بن المقفّع" إلى توظيف مختلف أنواع العناصر الإشارية: الشّخصية والزمّانية والمكانية والخطابية والاجتماعية بنجاحٍ للإشارة إلى آرائه، وتفريغ مخزونه من المعارف والخبرات بكل جُرْأَةٍ وثباتٍ، – وقد ساهم هذا التّوظيف للإشاريات في تحقيق مقاصده بتقديم النّصح والإرشاد لمختلف الفئات والطّبقات الاجتماعية في كيفية التعايش بين الناس وفنّ المعاملة والعمل وطلب العلم وحكم الرّعية،

– نجح "بن المقفّع" في إبداعِ جَوٍّ خطابيٍّ تواصليٍّ ممتع بينه وبين المخَاطَب من خلال "الأدب الكبير".

هوامش:

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1 (2005)، دار الطليعة (بيروت)، ص5.

[2] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، (1992)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية (الجزائر)، ص1.

[3] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ط1 (1987)، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع (الدار البيضاء)، ص13.

[4] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، ط1 (1997)، دار الصادر (بيروت)، مج:04، مادة (ش، و، ر)، ص437.

[5] جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1 (2015)، مكتبة سلمى الثقافية (تطوان)، ص29.

[6] جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، ط1 (2010)، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، لبنان، ص39.

[7] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، (2005)، مخبر تحليل الخطاب –جامعة مولود معمري (تيزي وزو) ، دار الأمل للطباعة والنشر (الجزائر)، ص93.

[8] جورج يول، التداولية، مرجع سابق، ص27.

[9] الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، ط1 (1993)، المركز الثّقافي العربي (بيروت)، ص39.

[10] جوليان براون،جورج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، ط1 (1418هـ-1997م)، جامعة الملك سعود (الرياض)، ص35.

[11] الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث في ما يكو به الملفوظ نصًا، مرجع سابق، ص116.

[12] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص52.

[13] المرجع نفسه، ص54.

[14] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية، ط1 مارس (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت)، ص81.

[15] المرجع نفسه، ص82.

[16] جان سرفوني، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، ط1 (1998)، منشورات إتحاد الكتاب العرب (دمشق)، ص27.

[17] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1 (1437هـ- 2016م)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع (عمّان)، ص77، 78.

[18] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، (2009)، جدار للكتاب العالمي (عمّان)، ص87.

[19] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د ط (2002)، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية)، ص17، 18.

[20] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص80.

[21] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص18.

[22] جورج يول، التداولية، مرجع سابق، ص29.

[23] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص19.

[24] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص20.

[25] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص80.

[26] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار مرجع سابق، ص20.

[27] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص81.

[28] سورة النَّبَأ، الآيات 9، 10، 11.

[29] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص21، 22.

[30] جورج يول، التداولية، مرجع سابق، ص33.

[31] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص22.

[32] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، مرجع سابق، ص87.

[33] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص24، 25.

[34] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص25.

[35] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص26.